

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أعظم ما يثبت القلوب؟

الخطبة الأولى:

الحمد لله مُثَبِّتِ القلوب على طاعته، ومُقَلِّبِها كيف يشاء بحكمته، أحمدته سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل لعباده أسبابًا يثبتون بها في زمن الفتن، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، دلَّ أمته على كل خير، وحدَّرها من كل شر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن القلوب تتقلب، وأن الفتن تعصف، ولا نجاة للعبد إلا بنبات يثبته الله به.

أيها المؤمنون: فما أعظم مثبتات القلوب؟

إِنَّ أَسَاسَ النَّبَاتِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ عِلْمُكَ أَنَّ النَّبَاتَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي وَيُوقِفُ وَيُنْبِتُ قلوب المؤمنين، كما أنه يخذل ويضل ويضيع قلوب الظالمين، فايمائك واعتصامك به وبوحيه مفتاح الثبات والسداد.
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْقَهُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٤].
وقال سبحانه: ﴿يُنْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

كتاب الله هو أعظم ما يثبت القلوب ويربطها على الحق، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

فمن لازم القرآن تلاوةً وتدبرًا وعملاً، ثبت الله قلبه.

فالله سبحانه وتعالى أنزل كتابه العزيز ليهتدي به الناس ويعتصموا به فهو مصدر القوة والعزة وأساس التمكين والرفعة، فيه الهدى والنور، من آمن به حق الإيمان وصدق به وأخلص التصديق فقد هداه الله وآتاه من فضله وأعانه على كل خير.

من أراد الرفعة والشرف والذكر بين الأمم فعليه بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].

أي: فيه شرفكم فمن أراد الاستخلاف والتمكين في الأرض والغلبة على الأعداء فعليه بالقرآن تلاوةً وتدبرًا وتحكيمًا، إنها رفعة في الدنيا والآخرة، فما أعظمها من كرامة!

وهو العلاج الناجح لأمراض القلوب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

إنه موعظة من الله وهل هناك أبلغ من الموعظة القرآنية؟

الطريق إلى الله واضح في القرآن:

فمن أراد السير إلى الله سيراً صحيحاً مأموناً فعليه بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 27-28].

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الثبات كيف يكون وقت المحن، غُذِبَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَمَامَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّوْبَاتِ، وَيَعِدُهُم بِالنَّصْرِ وَالْفَلَاحِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْتَقُ بِأَنْتَنِينِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لِيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَأَيْضًا مَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَرَّ بَعْمَارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَدِّبُونَ، فَقَالَ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَارٍ وَالْيَاسِرِ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الدَّهْيِيُّ.

فقصص الأنبياء والصالحين فيها أعظم دروس الثبات عند الابتلاء.

قال تعالى:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

تأملوا ثبات إبراهيم في النار، وموسى أمام البحر، ويوسف في السجن، ويونس في بطن الحوت... كلها تثبيت للقلوب بأن الفرج قريب.

ومن مثبتات القلوب عند المحن، حسن الظن بالله والرجاء فيه، حسن ظنه بربه أنه لن يخذل أوليائه، ولن يضيعهم، ولن يتركهم، لأنهم مع الله، والله معهم، من وجد الله ماذا فقد؟! ومن فقد الله ماذا وجد؟!، من وجد الله.. وجد كل شيء، ومن فقد الله.. فقد كل شيء.

قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢].

وقال ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي»

(رواه البخاري ومسلم).

عباد الله:

من فوض أمره إلى الله بعد أخذه بالأسباب ثبته الله عز وجل ، من توكل على الله كفاه، وأنزل عليه السكينة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وقال ﷺ:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير»

(رواه الترمذي وصححه الألباني).

إيماننا باليوم الآخر، وبأن وعد الله حق، والجنة حق، والنار حق، وما أعد الله للمؤمنين حق، وما أعد الله للكافرين والمجرمين والمنافقين حق، يهون علينا المصائب ويعظم الأجر، قال تعالى:

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

إِنَّ سِحْرَةَ فِرْعَوْنَ جَاؤُوا يُحَارِبُونَ دِينَ اللَّهِ طَالِبِينَ الْمَالَ، فَبَشَّرَهُمْ فِرْعَوْنُ وَوَعَدَهُمُ السُّلْطَةَ وَالْجَاةَ، فَسَالَ لِعَابِهِمْ، وَدَخَلُوا جَوْلَةَ الْبَاطِلِ مَعْتَزِينَ بِفِرْعَوْنَ، فَلَمَّا أَرَاهُمْ اللَّهُ الْحَقَّ سَجَدُوا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَحَوَّلَ فِرْعَوْنَ نَعِيمَ دُنْيَاهُمْ إِلَى جَحِيمٍ، فَمَا تَبَيَّنَا إِلَّا بِإِنْيَارِهِمُ اللَّهَ وَجَنَاتِ النَّعِيمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَلْفَيْ السَّحْرَةَ سَجَدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِّبَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَدَاوًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿طه: ٧٠-٧٦﴾.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم.... أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فإن من أعظم مثبتات القلوب، الصحبة الصالحة، فالصاحب يثبت صاحبه ويعينه على الخير.

قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني).

وأخيرا الدعاء هو سلاح المؤمن ومن أعظم أسباب الثبات، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وكان من دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

فاتقوا الله عباد الله، وتمسكوا بهذه المثبات، فإن القلوب لا تثبت إلا بها، ولا تستقيم إلا عليها.

اللهم ثبت قلوبنا على دينك،

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا،

اللهم ارزقنا حسن الظن بك، والتوكل عليك،

اللهم اجعلنا من الثابتين عند الفتن.

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.